

مفاهيم القرآن

(125) والتعليم ولهداية البشرية وتهذيبها، وذلك يقتضي أن ينزل القرآن بألوان مختلفة من الخطاب تناسب ما تقتضيه طبيعة التربية والتعليم، ومن هنا نشأ في أسلوب القرآن: المطلق والمقيّد، والعام والخاصّ، والمنسوخ والناسخ، والمحكم والمتشابه، والمجمل والمبيّن كمفاهيم الصلاة والزكاة والحج والجهاد وغيرها. . فهي رغم كونها واضحة في أول نظرة ولكنها مجتمعة من حيث الشروط والأجزاء والموانع والمبطلات والتفاصيل. فكان لا بدّ أن يتولّى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم بيان مجمله ومطلقه ومقيده. . وما شابه ذلك، وقد فعل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم ذلك بقدر ما تطلّبه طرفيه واقتضته حاجة المسلمين. . بيد أنّّه صلّى الله عليه وآله وسلم لم يكشف القناع عن جميع تفاصيل هذه الأمور وجزئياتها قاطبة، لعدم الحاجة إلى ذلك، وتحديّناً للظروف المناسبة، وانتظاراً للحاجات والحالات المستجدّة. وإن كان قد أخبر عن أصولها وأهمّياتها أو معظمها؛ فتعيّن أن يخلف النبيّ - من يمثله بالعلم والدراية بالوحي الإلهيّ المدوّن في الكتاب العزيز؛ ليسدّ مسدّه في بيان ما يتعلق بالكتاب من أمور مستجدّة، ويكشف النقاب عن بقية الجزئيات والتفاصيل لتلك المجمات حسب الظروف والحاجات الجديدة والضرورات الطارئة؛ ممّا أودع النبيّ عنده من معارف الكتاب وعلومه، ويخرج إلى الأمّة من تلك المعارف شيئاً فشيئاً. نعم؛ قال شيخ الطائفة الطوسي (رحمه الله) في تفسير قوله سبحانه: (حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) (الزخرف: 2-1 والدخان: 2-1). (إنّما وصف بأزّه مبین، وهو بیان مبالغه في وصفه بأزّه بمنزلة الناطق بالحكم الذي فيه، من غير أن يحتاج إلى استخراج الحكم من مبین آخر، لأنّه يكون من البیان ما لا يقوم بنفسه دون مبین حتّى يظهر المعنى فيه) (1). ولكن الصحيح أنّ توصيف القرآن بكونه كتاباً مبيناً؛ هو وضوح انتسابه إلى الله، بحيث لا يشك أحد في كونه كلام الله والآية نظير قوله سبحانه (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ _____ 1- التبيان 9:224) (طبعة النجف الأشرف).